نظام الوقف في تركيا الحديثة

د. مصطفى رباحي
جامعة غرداية (الجزائر)

ملخص :

التراث الوقفي العثماني يستوجب الدراسة والبحث لأنه حقيقة يترجم إرادة المسلم الفاعلة على تكوين الذات وبناء المجتمع ، وتتجلى فيه الصورة الإبداعية النابعة من العقيدة والإيمان، يعرف الوقف انه (وضع ملك من قبل صاحبه في استفادة الناس ابتغاء مرضاة الله، وهو مؤسسة إسلامية لأن أصل التعاون والتضامن ومساعدة الآخرين نابع من القرءان الكريم والسنة الشريفة المطهرة، ولهذا السبب تطور الوقف تطـــورا كبيرا وسريعا في العالم الإسلامي ووجدت أوقاف كثيرة ومتنوعة جدا من المستشفيات إلى المدارس ومن المساجد إلى الخانـــات ومـــن دور الطعام إلى المكتبات ومن الأشجار إلى البساتين .

لازال الإنسان التركي الحديث يحمل ثقافة أجداده العثمانيين حول الوقف ، واستطاع هوأيضا أن يحول العطاء والبذل والإنفاق كمـــا كان في عهد الدولة العثمانية من سلوك فردي إلى ظاهرة اجتماعية ومن حادثة منفصلة إلى ثقافة متصلة ، لاشك أن الميراث المادي يصـــحبه الميراث المعنوي والفكري (الثقافي)، فكما ترك الأجداد العثمانيون لأحفادهم الأتراك المجمعات العمرانية والمباني الوقفية الأخرى تركوا لهم أيضا الشعور بالفخر والعزة والكرامة والإحساس بخلافة الإنسان لله على الأرض وتحمل مسؤولية حماية الدين وعمارة الأرض بالاستمرار في عملية الإنفاق والبذل والعطاء ومساعدة الآخرين من المحتاجين والمساكين والفقراء و الدليل غلى ذالك تلك النماذج التي جاءت في البحث من المؤسسات الوقفية الحديثة تقوم بالأعمال الخيرية والمساعدات الإنسانية، وتبين لنا أن هذه الأعمال والمساعدات ما هـــي إلا امتـــداد للتـــاريخ واستمرار للثقافة واتصال بالتراث وارتباط بالدين.

الكلمات المفتاحية : الوقف ، نظام الوقف ، تركيا الحديثة ، الحبوس ، الوقف العثماني

Article Summary to Waqf in modernTurkey:

The modern Turkey has ,especially Istanbul ,different types of Ottoman Waqf heritage which dazzles and occupies the minds such as architectures , schools ,mosques ,hospitals ,hotels ,Hamammat, and the other Waqf buildings . Ottoman Caliphate undoubtedly is considered the Cradle of Waqf Civilization , therefore in my view that Ottoman Waqf heritage really requires studying and research ,because it interprets the will of Muslims in self-formation and creating society and community , as it is shown in it the creativity and innovation that stemming from Faith and Dogma .

The Waqf concept is a putting onwing by its making owner in benefit of people for seeking God's pleasing and satisfaction , and it is an Islamic Charity because reality of cooperation ,solidarity and helping others stems from the Holy Quran and honorable Sunnah.For this reason ,Waqf has been greatly , radically and rapidly eveloped In the Islamic World , as it has been found the diversity and different endowments (Waqf) from hospitals to schools ,from inns to mosques , from restaurants to librarires , and from trees to orchards .

The modern Turkish man still have the culture of his ancestors on Waqf and he also could have transfred the grant , sacriface, and expenditure as it was in the reign of Ottoman Empire from individual behaviour to a social phenomenon and from disjoined events to joined culture .

Undoubtedly,the concrete inheritance associated with abstract and intellectual(culture) ,as the Ottoman ancestors left for thier Turkish grandchildren the achitecture and the other Waqf buildings , they also grant them a sense of pride , honour , glory , dignity, and a sense of human succession to Allah on earth to assume responsibility of religion protection and constantly leaving in earth in the pcocess of expenditure, sacriface ,granting and helping others of poor ,needy and miserable human beings that the evidence is the models that were shown in the research of modern Waqf charities that have done a lot acts of charities and human bieng help , as it twas shown to us that these acts and helps are just an extending to history , continuity of culture , connection to legacy and tie to religion .

Sommaire de l'article (la dotation *-el wakf- dans la Turquie moderne)*

La Turquie moderne, en particulier Istanbul, contient de différents types de patrimoine de **el wakf** Ottomane qui éblouissent les esprits et coupent le souffle en les voyant, comme les complexes architecturaux, les écoles, les moquées, les hôpitaux, les auberges, les douches et d'autres édifices de dotation. La succession Ottomane sans aucun doute est considérée comme le berceau de la civilisation de dotation .pour cela, à mon avis, l'étude du patrimoine de dotation- **el wakf-** Ottoman est incontournable vu qu'il reflète la volonté sans faille de l'homme musulman de former les esprits et de fonder une communauté, et l'image de créativité découlant de la doctrine et la foi.

El wakf est définie comme (la mise d'une propriété par son propriétaire au service des gens pour obtenir la satisfaction d'Allah, est c'est une société islamique car la source de la coopération et la solidarité est le Coran et la sainte sunna). C'est pour cela que **el wakf** s'est évoluée massivement dans le monde musulman, et différents types de dotation s'y trouvent, des hôpitaux, des écoles, des mosquées, des magasins, des librairies jusqu'aux plantes et jardins.

L'homme Turc moderne porte toujours la culture de ses ancêtres concernant **el wakf** . Il est parvenu lui aussi à transformer la générosité et **el wakf** d'un comportement individuel à un phénomène social et une culture connectée, comme elle l'était à l'époque de l'empire Ottoman. Il n'y a aucun doute que l'héritage physique est accompagné d'un héritage moral et intellectuel. Les ancêtres turcs, comme ils ont laissé à leurs enfants des complexes architecturaux et les autres édifices de **el wakf**, ils leur ont laissé aussi le sentiment de fierté, d'orgueil, de dignité et la responsabilité de protéger la religion et l'engendrement sur Terre en poursuivant le processus de **el wakf** et l'aide d'autrui, des démunis et des pauvres, Les modèles d'établissements de **el wakf** moderne qui effectuent des bénévolats démontrés dans la recherche le prouvent et nous montrent que les coopérations ne sont qu'une extension de l'histoire et une continuité de la culture et un contact avec le patrimoine et la religion.

تمهيد : تضم تركيا الحديثة وخاصة إسطنبول أنواعا مختلفة من التراث الوقفي العثماني الذي يبهر العقول ويقطع الأنفاس كالمجمعات المعمارية والمدارس والمساجد والمستشفيات والنزل والحمامات والمباني الوقفية الأخرى، فالخلافة العثمانية بلا شك تعتبر مهد حضارة الوقف، ولذلك في رأى أن التراث الوقفي العثماني يستوجب الدراسة والبحث لأنه حقيقة يترجم إرادة المسلم الفاعلة على تكوين الذات وبناء المجتمع ، وتتجلى فيه الصورة الإبداعية النابعة من العقيدة والإيمان، يعرف ضياء الدين قازجي الوقف انه (وضع ملك من قبل صاحبه في استفادة الناس ابتغاء مرضاة الله، وهو مؤسسة إسلامية لأن أصل التعاون والتضامن ومساعدة الآخرين نابع من القرءان الكريم والسنة الشريفة المطهرة، ولهذا السبب تطور الوقف تطورا كبيرا وسريعا في العالم الإسلامي ووجدت أوقاف كثيرة ومتنوعة جدا من المستشفيات إلى المدارس ومن المساجد إلى الخانات ومن دور الطعام إلى المكتبات ومن الأشجار إلى البساتين)[1].

1- محورية الوقف في حياة الإنسان العثماني: ستدهشك مركزية ومحورية الوقف في حياة الإنسان في عهد الخلافة العثمانية من يوم ولادته إلى يوم وفاته فيولد على يد قابلة نذرت نفسها وقفا لله بهذا العمل، ثم يقضى طفولته على مهد قدم وقفا لله، ويلبس لباسا قد أوقف من قبل الغير وقفا لله، ويعالج في مستشفى موقوف لله، ويعالجه طبيب نذر نفسه بهذا العمل وقفا لله، ويدرس في مدرسة بنيت وقفا لله ، ويدرسه معلم يتقاضى راتبه من الأوقاف، وقد يعمل الإنسان طوال حياته في عمل تابع لأحد الأوقاف، وعندما يتوفى يصلى عليه في مسجد بني وقفا لله، ومن قبل إمام يتقاضى أجره من الأوقاف وليس من الدولة، ثم يحمل على نعش جعل وقفا لله، ثم ينقل جثمانه إلى مقبرة هي وقف لله، ولا تنتهي عن عند هذا الحد فوجدت هناك من وقف نفسه لله في الدنيا لإسعاد الآخرين بعد وفاتهم في الآخرة[2].

يقول ياوز بهادر أوغلي أن تأسيس الوقف هو(خلق إسلامي يتحقق بفضل تشجيع القرءان الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لمفهوم الإنفاق الواسع الذي يحمل معنى التعاون ومساعدة الآخرين فتغلغلت هذه المعاني في كافة مراحل حياة الإنسان ونفذت في شرايين الجسد الإجتماعي، والهدف من ذلك هو أن لا يبقى الإنسان جائعا ولا عاريا ولا مشردا في الشوارع، ولا يشعر بالوحدة والعزلة، وتخليصه من مشاكله وهمومه وبهذا يتحرر الإنسان ماديا وروحيا لأن

1) Ziya Kazici, **Osmali Vakif Medeniyeti**, Bilge Yayincilik Istanbul, Turkye, B1, Sh 33.
2) Arsebuk Esat, **Medeni Huku C.1 Baslangic Ve Sahisin Hukuku**, Ankara, 1938, Sh 279.

الإنسان التابع لغيره لا يستطيع التوجه إلى الله بشكل كاف، بينما الإنسان المتحرر يستطيع التوجه إلى الله بكامل إرادته وجوارحه وخلاياه، ويتحقق بذلك المعنى الحقيقي للعبودية لله **عز وجل**

2- **التراث الوقفي العثماني..... صورة الإيمان والإبداع والظرافة:**لقد تركت الخلافة العثمانية لتركيا الحديثة ميراثا ضخما من الأوقاف نذكر منها الأسبلة و صنابير المياه التي شكلت الغالبية العظمى من الأوقاف العثمانية، وهذا راجع إلى أن الماء هو مصدر الحياة لكل شيء، وراجع أيضا إلى أن العبادة لا تتم إلا بالطهارة بالماء، ونذكر منها أيضا حجر الصدقات الذي يصادفك في شوارع اسطنبول هو بناء بسيط في الشكل لكن كبير في المعنى، حيث يضع الغني نقود الصدقة في ثقب هذا الحجر فيأتي الفقير يأخذ هذه النقود حسب الحاجة، ونذكر من هذا الميراث الضخم (المجمعات المعمارية) حيث يتموقع الجامع في مركزها وتحيط به وتجتمع حوله المدارس والمكتبات الحمامات والمطابخ الخيرية ومحطات المسافرين ودور الشفاء وغير ذلك، وكأنها قرية صغيرة، هناك في إسطنبول العشرات من هذه المجمعات المعمارية، أما في منطقة الأناضول والأماكن التي كانت تحت الحكم العثماني فهناك المئات من هذه المجمعات، ويعد مجمع السلطان أحمد قرب متحف أيا صوفيا القديم من أهم المجمعات في إسطنبول، يعرف هذا المجمع بالجامع الأزرق نسبة إلى لون البلاطات الخزفية التي تزين جدرانه من الداخل والتي يزيد عدد ها عن العشرين ألف، يضم هذا المجمع المعماري الضخم جامعا ودارا للطعام ومدرسة ومقصورة للسلطان وحماما ودارا للشفاء وكتابا وصنابير للمياه إضافة إلى غرف ودور ومخازن للإيجار وكأنه قرية صغيرة مستقلة بذاتها. ولا ننسى مجمع السليمانية العظيم.لم يمارس العثمانيون الوقف في وقت الرخاء فقط بل مارسوه حتى في وقت الشدة ومع غير المسلمين، فعندما خرج السلطان سليمان القانوني لفتح جزيرة ردوس خرج هو برا وبعث الأسطول بحرا، وصل الأسطول قبله وأرسى في رصيف يقع خلف منطقة مأهولة بالسكان، وأثناء إنتظار وصول السلطان طلب القائد محمد باشا من جنوده الخروج لفعل الخير والبر والحسنات، فقال له أحد الجنود: لمن نعمل الخير لا يوجد مسلمون في هذه المنطقة، فأجابه القائد: نحن لسنا مكلفين بعمل الخير للمسلمين فقط بل حتى لغير المسلمين وجميع الكائنات، فنزل الجميع لفعل البر والخير والإحسان[3].

لم يقتصر الوقف في الدولة العثمانية على الإنسان فقط بل شملت بعض الحيوانات أيضا في بورصة مثلا يوجد مستشفى للقالق يحمل اسم دار الغرباء للقالق، وتسمع حكايات ظريفة في العصر العثماني عن معاملة الإنسان للطيور، يذهب الشخص يشتري من محل مربي الطيور قفصا مليئا بالطيور، ثم يفتح القفص ويطلقها جميعا، لأنه يعتقد تحصيل الأجر والثواب عندما ترفرف الطيور بأجنحتها في السماء، كانت تبنى حسب حجم جدران المنزل وفخامته، فإذا كان بيت الشخص كبيرا وفخما كان بيت الطيور كذلك بل يعتبرون هذا حق من حقوق الطيور.

لقد أولت الخلافة العثمانية أهمية كبيرة لموضوع الصحة ولهذا السبب أنشئت مستشفيات وقفية كثيرة في العصر العثماني، لم يكن المرضى معفيون من دفع الأجرة فحسب بل كانوا يأخذون الأدوية اللازمة لتداويهم مجانا، وكان المرضى إذا خرجوا بعد التداوي مباشرة يخصص لهم مال معين حتى لا يضطروا للعمل في وقت التعافي، وقد ذهبت إلى أدرنة وشاهدت[4] مستشفى يلفت النظر والانتباه حقا هو مستشفى مجمع السلطان بايزيد الثاني حيث كان يتم فيه التداوي بالموسيقى،لم يكن أحد من المسلمين يفهم ذلك إلا بعد تأسيس أقسام وفروع التداوي بالموسيقى في الجامعات الأوربية واستعمالها للعلاج، في هذا المستشفى العجيب كانت تنظم أربع أو خمس حفلات يحييها أربعة موسيقين وخمسة مطربين، يعطي كل مقام من المقامات الموسيقية شفاء لنوع معين من الأمراض فمثلا مقام الرواحي يفيد في علاج الصداع ومقام الرست في الحمى والشلل ومقام الزنقولة لأمراض القلب إضافة لعدة أنواع من الأمراض التي تعالج

[3] النص الأصلي محفوظ في مكتبة السليمانية، مجمزعة أسعد أفندي، رقم: 1/3752.

[4] زيارة قمت بها إلى المستشفى (أوت 2007).

بخرير الماء وبأنواع المقامات والمعزوفات الموسيقية في الوقت الذي كان فيه الأوربيون يزعمون دخول الشيطان في جسم الإنسان المريض نفسيا فأحسن العلاج وأقصره هو إحراقه بالنار.

توجد أوقاف أخرى كوقف الكروان سراي أو وقف المسافرين هذا المكان الذي يمتد تاريخه إلى عهد السلاجقة الأتراك شيد في البداية لأهداف عسكرية ثم تحول إلى أماكن يستريح فيها المسافرون مجانا يقدم لهم الطعام لمدة ثلاثة أيام ويؤدوا عبادتهم ويكملوا احتياجاتهم، وهناك وقف الرحلات الذي ينظم الرحلات ويؤمن الكسوة للطلبة في الصيف من كل سنة، وهناك وقف تنظيف البحيرات الذي تأسس في أدرنة، ووقف دعم الزواج الذي يدفع مصاريف الزواج للبنات ذات الظروف المالية الصعبة، وهناك وقف حماية القناطر من السيول في أماسيا ، وهناك وقف شراء المثيل للبضاعة المكسورة، ووقف أصدقاء المدينين، ووقف لكل شخص فاكهة ، ووقف الذرة على الثلوج لتأكل منها الطير..... وكل ما ذكرته من الأوقاف يعد القليل والظريف من الأوقاف العثمانية النابع من إيمان الإنسان العثماني وإحساسه بأنه خليفة الله في الأرض، ولذلك فالإنسان في المجتمع العثماني حمل على عاتقه عمارة الدنيا وحماية الدين.

لقد عرفت الأوقاف انتشارا واسعا في العصر العثماني وبين جميع فئات المجتمع والعجيب في الأمر أن 70% من تأسيس الأوقاف أسسها عامة الناس ولا نتعجب من ذلك إذا عرفنا السبب وهو قيام الكثير من السلاطين العثمانيين بوقف مواردهم و نقودهم الشخصية فالشعوب على دين ملوكهم، يكتب السلطان محمد الفاتح وقفية يقول فيها (أنا العبد العاجز السلطان محمد الفاتح أوقفت 360 دكانا من الأملاك التي اشتريتها بنقودي وكسبتها بعرق جبيني حسب الشروط المدونة أدناه وقفا صحيحا، بنيت دارا للطعام في مجمعي لتأكل فيه عوائل الشهداء والمساكين وفقراء مدينة اسطنبول والذين لا يتمكنون من الحضور إلى المجمع ينقل الطعام إلى بيوتهم وقت الغروب خفية دون أن يرى ذلك شخص آخر..... وقد عينت عشرة جراحين وعشرة أطباء و ثلاثة من المضمدين لتداوي المرضى يقوم أفراد هذا الفريق بالتجوال في شوارع اسطنبول في أيام مخصوصة من الشهر، وبلا استثناء يعالجون المرضى مجانا، وفي حالة ما إذا كان المرض مستعصيا عليهم ينقلون المريض إلى المستشفى[5]، من هذه الوقفية نفهم أن محمد الفاتح لم يفتح القسطنطينية فقط بل هو فاتح القلوب وهكذا يعرف عند الأتراك فبقدر العظمة والجاه الذي كان يحظى به كان يمد يد المساعدة والعون للآخرين، أما حفيده السلطان سليمان القانوني أو سليمان العظيم فقد أوقف مكتبة تسمى اليوم على اسمه (مكتبة السليمانية) بها مخطوطات وكتب ومباني الوقفية، كما أقدمت الكثير من الأميرات العثمانيات بوقف مواردهن، حيث كتبت السلطانة خرم زوجة السلطان القانوني تقول فيها (يعطى في كل مطبخ وفي كل وجبة إلى كل واحد من الفقراء والمساكين والضعفاء والمحتاجين الذين يصل عددهم إلى 400 شخص وإلى كل اثنين منهم طعاما في طاسة واحدة إضافة إلى طعام فيه لحم ليلة الجمعة وأن لا يخرج أحد الطعام خارج المطبخ ما عدا الخدم و إلا فهو حرام عليه) وأوقفت مستشفى من أموالها الخاصة مع وقف العديد من المحلات التجارية، وشيدت بنتها الوحيدة الأميرة مهري ماه جامعا بأسكدار وقفا لله، ويحمل الجامع اليوم اسمها (جامع مهري ماه). تشير الإحصائيات العامة إلى وجود أكثر من 2517 وقف في اسطنبول، كان الإعتقاد السائد أن نساء السلاطين والأغنياء أو أصحاب المناصب العالية في الدولة ولكن وجدنا أن عامة الناس أيضا يساهمون بشكل كبير في تأسيس الأوقاف إقتداء بسلاطينهم.

3- **المؤسسات الوقفية الحديثة..... الإتصال بالدين والتراث:** حقيقة لقد لفت انتباهي تحول العطاء والبذل والإنفاق في عهد الدولة العثمانية من سلوك فردي إلى ظاهرة إجتماعية، ومن حادثة منفصلة إلى ثقافة متصلة ، فالسؤال

[5] هذه الوقفية وعدد من نسخها ووقفيات رستم باشا وابنته عائشة سلطانة محفوظة كلها في أرشيف المديرية العامة للأوقاف.

المطروح الذي أسعى للإجابة عليه هو هل الإنسان التركي الحديث لازال يحمل ثقافة أجداده العثمانيين حول الوقف أم أنه تخلى عنها؟.

لاشك أن الميراث المادي يصحبه الميراث المعنوي والفكري (الثقافي)، فكما ترك الأجداد لأحفادهم المجمعات العمرانية والمباني الوقفية الأخرى تركوا لهم أيضا الشعور بالفخر والعزة والكرامة والإحساس بخلافة الإنسان لله على الأرض وتحمل مسؤولية حماية الدين وعمارة الأرض بالاستمرار في عملية الإنفاق والبذل والعطاء ومساعدة الآخرين من المحتاجين والمساكين والفقراء، ولذلك سنذكر نماذج عديدة من المؤسسات الوقفية الحديثة تقوم بالأعمال الخيرية والمساعدات الإنسانية، وسيتبين لنا أن هذه الأعمال والمساعدات ما هي إلا امتداد للتاريخ واستمرار للثقافة واتصال بالتراث وارتباط بالدين.

أ) وقف ألا يوجد أحد (Kimse Yok Me) [6]**:**هو اسم لأحد المؤسسات التضامنية، تأسست عام 2002م في تركيا بهدف تقديم الإغاثة للفقراء والمحتاجين في تركيا والوقوف معهم لتخفيف معاناتهم وتوفير احتياجاتهم وذلك عن طريق جمع التبرعات من أهل الخير والمتطوعين، بعد ذلك انفتحت على مختلف أنحاء العالم فساهمت بتقديم المعونة إلى متضرري الكوارث الطبيعية وإلى المحتاجين إثر المجاعات التي حدثت في الكثير من بقاع العالم، وتستطيع أن تقول أن عدد المساهمين الذين تبرعوا للمؤسسة بلغ 960000 شخصا، وأهم مشروع إبداعي عرفت به المؤسسة هو مشروع العائلات المتآخية ومبدأ المشروع يقوم على التآخي بين عائلة ميسورة الحال مع عائلة معسورة الحال لتقديم المساعدة لها وتخفيف المعاناة عليها، ومبدأ التآخي الذي تطبقه المؤسسة لمساعدة العائلات المحتاجة هو ارتباط بالآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ(10)**﴾ [7] واقتداء بالرسول (ص) عندما هاجر إلى المدينة حيث آخى بين المهاجرين والأنصار.

ب) وقف التحري والإنقاذ:تأسس هذا الوقف بعد زلزل أغسطس 1999م حيث وصل الآلآف من المتطوعين من كافة أرجاء تركيا إلى منطقة الزلزال بينهم نساء وطلبة وعمال المصانع وأصحاب الشركات ورجال من كافة المهن والمجموعات ومن كل الأعمار، ولكن الذين ساهموا في عمليات الإنقاذ لم يكونوا منظمين بل جاؤوا فرادى أو جاء شخص مع صديقه لكن ليس لديهم تجربة سابقة في عملية الإنقاذ، ففكرنا بعد ذلك في توحيد الجهود وتنظيمها فأسسنا وقف التحري والإنقاذ، وأصبحت اليوم تحتل المرتبة الأولى في تركيا في عملية الإنقاذ من حيث التنظيم وحركته المستمرة وزيه الموحد وخبرته الطويلة في عمليات الإنقاذ، يوجد حاليا 25 فريق عمل تابع لوقف التحري والإنقاذ في25 منطقة مختلفة داخل تركيا، كان عدد المؤسسين سبعة أشخاص لكن اليم بلغ عدد المتطوعين 1200 شخص، في الحقيقة وقف التحري والإنقاذ هو اتصال بالتراث الوقفي العثماني لوقف أسسه خسروا باشا سنة 1588م، حيث قام بإنشاء سفينة للإغاثة مجهزة بكافة التجهيزات البحرية في بحيرة وان وهي أكبر بحيرة في تركيا لكي يقوم بنجدة السفن وصيادي السمك عند تعرضهم للأخطار وبعد 422 سنة تأسس وقف التحري والإنقاذ.

ج) وقف تقييم جهود المرأة:تأسس هذا الوقف في 1986م أي قبل 30 سنة تقريبا، هدفها تحسين ظروف النساء ذات الآمال الضعيفة، يعنى دعم النساء في أعمالهم ومساعدتهم من اجل تحسين أوضاعهم وأوضاع أولادهم ومكانتهم في مجتمعهن إضافة إلى دعمهن من أجل موقعهن القيادي في العمل وفي المجتمع. للوقف حاليا عدة نشاطات منها نشر التعليم قبل التمدرس (مرحلة الروضة) في المناطق الفقيرة، كما تقوم بتأسيس دور الحضانة في الأحياء الفقيرة أطلق عليها اسم (مراكز المرأة والطفولة)، وتقوم أيضا بتطوير المؤهلات والخبرات حيث تحاول أن تعطى للمرأة الثقة بالنفس

---

[6] Kimse Yok Me,Heber Bulteni, **Kimse Yok Mede Ramazan Heyecani**, Sayi 29,2013,S32.

[7] سورة الحجرات، الآية: 10.

كي تنسجمها مع أسرتها ومجتمعها وكذلك تتعلم بعض المهن والحرف اليدوية كما تقوم بتعليم العمل الجماعي للمرأة كي تتمكن من حل مشاكلها داخل أسرتها و داخل منطقتها وذلك من أجل تطوير الأسرة والمنطقة في آن واحد. مما لا شك فيه أن المرأة تتمع برؤية تفاصيل الحياة وتعتنى بها بشكل دقيق ولذلك فإن الحل الصحيح والأفضل لمشاكل الإنسان التي تكمن في زوايا الحياة والمدينة سيتم على أيدي النساء أيضا، هل تعلم أن 27% من الصنابير التي كانت موجودة في سنة 1930م كانت موقوفة من قبل النساء، أريد أن أقول أن فكرة تأسيس الوقف عند النساء فكرة قديمة منذ عهد الدولة العثمانية وإذا اطلعت على أرشيف المديرية العامة الخاصة بالعهد العثماني في تركيا ستجد من 30000 وثيقة وقفية 2039 وثيقة وقفية للنساء، وقد سبق لنا من قبل ذكر وقفية السلطانة خرم زوجة السلطان سليمان القانوني وابنتها السلطانة (مهري ماه) ولقد أقفة والدة السلطان مراد ووالدة السلطان عبد المجيد والسلطانة حفيظة والسلطانة يوربانة التي بقي مستشفاها وجهازه التعليمي يعمل حتى سنة 1927م، تشير الإحصائيات العامة إلى وجود أكثر من26000 في الدولة العثمانية 2500 من قبل النساء وتشير دفاتير التسجيل الآثار في إسطنبول إلى وجود 2517 وقف في إسطنبول 903 من هذه الأوقاف.

د) وقف التي نقطة للمكفوفين:تأسس من أجل مساعدة المحرومين من حاسة البصر، فقام الوقف بفتح مكتبة إلكترونية يتسنى لمكفوفين بمطالعة الكتب يقوم متطوعي الوقف بقراءة الكتب على المكفوفين وفكرة وقف المكتبة مستوحاة من وقف المكتبة السليمانية التي أوقفها السلطان سليمان القانوني .

ه) وقف الإغاثة والحقوق والحرية الإنسانية (IHH) :تأسس من أجل مد يد المعاونة والمساعدة المادية والمعنوية إلى الأيتام واللاجئين والأرامل والجرحى المتضررين من الحروب والمعارك التي تحصل في العالم[8]، ولا تجعل اعتبارا للدين والقومية والجنسية واللون يقدم الخدمة انطلاقا من إيمانه ومن مبادئه الإنسانية ، تتواجد على مستوى 120 دولة 57 منها إسلامية والبقية غير إسلامية وتعمل بنشاط دائم ومستمر[9]، في ماي 2010م نظمت هذه المؤسسة الوقفية رحلة إغاثة إلى غزة لكسر الحصار المفروض عليها من قبل الاحتلال الصهيوني وكسب الرأي العالمي حوله ولفت الانتباه إليه، عنوان هذه الرحلة اتجاهنا فلسطين شاركت فيها ثمان سفن من 36 دولة تعرضت هذه القافلة التي سميت بأسطول الحرية[10] للاعتداء من قبل قوات الاحتلال الصهيوني في المياه الإقليمية الدولية للبحر الأبيض المتوسط وتم احتجاز محتوياتها بما في ذلك المساعدات الإنسانية الوقفية ، في الحقيقة إن إغاثة غزة والدفاع عن القدس والمقدسات الإسلامية يرجع أساسا إلى فكرة موكب الصرة زمن السلطان العثماني محمد جلبى ابن السلطان بايزيد، وهي مجموعة من الإعانات بعث بها السلطان إلى القدس المبارك ومكان معراج الرسول الكريم (ص) ولم يقتصر موكب الصرة على القدس الشريف بل شمل مكة المكرمة والمدينة المنورة بالرغم في وقتها لم تكن هذه الأراضي تابعة للدولة العثمانية ولكن إيمانا منه بحماية الأماكن المقدسة وحبه وتقديره للرسول (ص) هو الذي جعله يقبل على هذا العمل العظيم، وهكذا فإن وقف الإغاثة والحقوق والحريات الإنسانية يمثل موكب الصرة في العصر العثماني ، وبهذا العمل ترك الإنسان التركي الحديث من خلال مؤسسة الإغاثة ميراثا جميلا للأولاد ، يضمن الاستمرارية بين الأجداد والأحفاد.

و) المؤسسات الوقفية التعليمية لحركة الأستاذ فتح الله كولن:فتح الله كولن هو أحد أشهر علماء الإسلام المصلحين ودعاته المعاصرين على مستوى العالم[11] لا يعتمد مفهوم الوقف عند الأستاذ فتح الله كولن على إنفاق المال أو بذل

---

[8] وقفية الإغاثة الإنسانية، **تاريخ النجاح 1995-2011م**، إيهاها كتاب، إسطنبول، تركيا، أنظر المقدمة .

[9] وقفية الإغاثة الإنسانية، **الخير في كل زمان ومكان**، إيهاها كتاب، إسطنبول، تركيا، دون سنة، دون طبعة، ص01.

[10] وقفية الإغاثة الإنسانية، **ما في مرمرة (أسطول الحرية لغزة)**، تر:خليل إبراهيم قشار، إيهاها كتاب، إسطنبول، ط1، 2012م، ص24- 29.

[11] إحتل المرتبة الأولى في قائمة أهم مئة مثقف في الإجراء الذي أجرته سنة 2008م مجلة فورين بوليسي المريكية ومجلة بروسبيكت البريطانية المشهورة.

منفعة العقار فحسب بل الوقف عنده يعتمد على بذل المال والعمر والعلم والهجرة عن الوطن لأحياء نفوس الآخرين[12]، بعد الجهود الخيرية والأعمال التطوعية التي قام بها أتباع فتح الله كولن وبتوجيه منه تشكلت حركة فكرية مدنية تطوعية أصبحت تعرف بحركة كولن أو حركة المتطوعين تتمع بمنهجية وطريقة مستقلة في نشاطها التعليمي، أدرك فتح الله كولن أن المجتمعات الإسلامية تعاني من ثلاث علل كبرى وهي الجهل والفقر والاختلاف فنذر نفسه للدعوة إلى العلم والعمل لتفعيل مشروع تربوي متكامل وحث الأثرياء على الاستثمار في مجال التربية والتعليم أي مجال صناعة الرجال[13]، وقد حاول فتح الله كولن لسنوات عديدة في خطبه ومواعظه بشكل مباشر أو غير مباشر إقناع وتنوير الأوساط المحافظة بفائدة المشاريع التربية، وإقناع الأوساط الحكومية بمدنية المشاريع التعليمية وعملها لمصلحة الجماهير وخدمة الروح الملية، أول مدرسة تم فتحها بتشجعات الأستاذ لأصحاب الهمة العالية هي (مدرسة يمانلر الخاصة) للعلوم الطبيعية في محافظة إزمير بغرب تركيا سنة 1982م بعد ذلك فتحت (مدارس فاتح الخاصة) في إسطنبول في نفس السنة، وهكذا توالى فتح المدارس التي بلغت حوالي 1000 مدرسة خاصة في أكثر من 130 دولة، وفي تركيا تم افتتاح 800 مدرسة من المدارس الابتدائية والثانوية الخاصة و500 مركز من مراكز التمهيد والتدريب لامتحانات الجامعة والمدن الجامعية للطلاب وعشرات الجامعات العملية، تحتل هذه المدارس اليوم في تركيا المراتب الأولى من حيث حصول طلابهم على العديد من المدليات الذهبية في أولمبيات العلوم الطبيعية على المستوى العالمي والمحلي، ومن جهة التعليم والتكنولوجيا، بدأ فتح المدارس في دول أخرى خارج تركيا منذ بداية التسعينات في آسيا الوسطى بعد انهيار الإتحاد السوفياتي لمساعد تهم على النهوض والتنمية والتطور، إذا أردنا أن نربط هذه المؤسسات الوقفية التعليمية الكولنية الحديثة بالنشاط التعليمي في العهد العثماني نجده يتجلى في تلك المدارس والمباني التعليمية التي كانت تعلم العلوم النقلية والعلوم العقلية معا[14]، لقد نال التعليم أهمية كبرى بعد فتح اسطنبول وطبقت المدارس حينها نظام التعليم المستمر والنجاح في المواد الأساسية شرط أساسي لمواصلة التعليم حيث كانت تدرس على مستوى عال العلوم الدينية والعلوم العقلية الأخرى من علم الفلك إلى علم اللغة، وبقي الحال كذلك حتى تأسيس المدارس المهنية في نهاية العصر العثماني على الرغم من مرور 4 قرون ونصف على تشيد المدرسة التي أوقفت من قبل بيرم باشا سنة 1634م لا تزال جدرانها تشهد على حركة طلابها يتسارعون للوصول إلى جدرانها ولا تزال الأروقة تشهد على الطلبة الذين يبرون أقلامهم، وعلى الأساتذة الذين يحملون كتبهم على البغال ، لقد كانت هذه المدارس ملتقى للعلوم الشرقية والغربية تدرس علوم الآخرين وتصدر ما تنتجه من علوم فالتعليم حقا بوابة الحضارة.

ز) الأوقاف النورية..... خادمة الإيمان والقرآن:لقد جاء في محورية الوقف عند الإنسان التركي أن الوقف يتماشى مع حياة الإنسان من يوم ولادته إلى يوم ووفاته ولا ينتهي عند هذا الحد بل وجدت من أوقف نفسه لأجل سعادة الإنسان بعد وفاته إنه الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي[15] لقد تمثل مفهوم الوقف عند الأستاذ النورسي في شخصه وفي مؤلفه كليات رسائل النور حيث أوقف نفسه وحياته كلها لله واجتمعت في مؤلفه مجموعة من الألفاظ التي تعبر عن الوقف كالتضحية والفداء والاستغناء والتفاني والنذر والإخلاص، حيث يقول بصدق حاله وبلاغة مقاله (.....قررت أن أضحى لأجل حقيقة القرءان الكريم لا لسعادتي الدنيوية بل لسعادتي الأخروية كذلك)[16] ويتمنى أيضا أن يحضى ببذرة

---

[12] علي كراماتلي، "نظرة جديدة إلى الوقف والتربية (حركة المثقف والعالم التركي فتح الله كولن نموذجا)"، **مجلة الأوقاف**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 22، ص191.

[13] محمد فتح الله كولن، "الإنسان الجديد"، **مجلة حراء**، إسطنبول، تركيا، العدد11، المقال الرئيسي.

[14] علي كراماتلي، المرجع السابق، ص 198.

[15] سعيد النورسي ولد سنة 1877م، بنورس (تركيا)، رائد الإصلاح والنهضة الإيمانية بتركيا، صاحب كليات رسائل النور، توفي سنة 1960م.

[16] سعيد النورسي، **السيرة الذاتية**، سوسزلر، القاهرة، مصر، ص493 .

من التضحية السامية بقوله: أرضى الدخول النار لأنقذ بعض أصحابي منها بالإيمان كما قال أبو بكر الصديق (أسأل الله عز وجل أن يكبر جسمي ليملأ جهنم، حتى لا يبقى موضعا لمؤمن يتعذب فيه)[17]، وهكذا يعد النورسي النموذج الأمثل لهذه التضحية الصديقية، قضى كل عمره مضحيا وقفا لله، حقيقة لم يجد الأستاذ فرصة للتفكير في الزواج لينجب أبناء من صلبه بل أنجب أبناء الإيمان إنهم طلاب النور (الأوقاف البشرية) هم طلاب أوقفوا حياتهم لله إقتداء بأستاذهم ورثوا عنه رسائل النور لتكون لهم دستورا لحياتهم، فطلاب النور هي كائنات حساسة فريدة ومتميزة، واسعة الدوائر الوجودية ذات خصائص عقلية وروحية ووجدانية وأخلاقية شاملة، خلفاء الله على الأرض، يشعرون بالطمأنينة والسلام النفسي والانسجام مع الكون والمخلوقات والثقة بالله، يجتمعون في بيوت النور أو المدارس النورية الوقفية حيث تضم مجموعة من الطلبة يشرف عليهم طالب وقف يقوم بتوجيه الطلاب الجدد وتسير شؤون المدرسة، تقام بالمدرسة حلقات النور حيث تزدحم الصالة بالمستمعين يتخلقون بشغف حول أستاذ يقرأ مقاطع من رسائل النور، أعمارهم مختلفة صبيانا وشبابا وكهولا وشيوخا تتجه أبصارهم صوب القارئ فيمطرهم بكلمات تملأ قلوبهم إيمانا واطمئنانا ومحبة ويقينا وتضعهم في قلب العالم منطلقة بهم صوب الفضاء الكونى والملكوت، إن العديد من الأوقاف النورية هي عبارة عن أوقاف تبرع بها المحسنون كصدقة جارية تتمثل في المنازل والسيارات وأثاث المنازل ومؤونات الأكل...إلخ ، والسبب في وجود هذه الأوقاف العديدة هو الارتباط بالدين والإيمان والروح التطوعية التي ورثوها عن أجدادهم العثمانيين.

الخاتمة : لازال الإنسان التركي الحديث يحمل ثقافة أجداده العثمانيين حول الوقف ، واستطاع هوأيضا أن يحول العطاء والبذل والإنفاق كما كان في عهد الدولة العثمانية من سلوك فردي إلى ظاهرة اجتماعية ومن حادثة منفصلة إلى ثقافة متصلة ، لاشك أن الميراث المادي يصحبه الميراث المعنوي والفكري (الثقافي)، فكما ترك الأجداد العثمانيون لأحفادهم الأتراك المجمعات العمرانية والمباني الوقفية الأخرى تركوا لهم أيضا الشعور بالفخر والعزة والكرامة والإحساس بخلافة الإنسان لله على الأرض وتحمل مسؤولية حماية الدين وعمارة الأرض بالاستمرار في عملية الإنفاق والبذل والعطاء ومساعدة الآخرين من المحتاجين والمساكين والفقراء و الدليل غلى ذالك تلك النماذج التي جاءت في البحث من المؤسسات الوقفية الحديثة تقوم بالأعمال الخيرية والمساعدات الإنسانية، وتبين لنا أن هذه الأعمال والمساعدات ما هي إلا امتداد للتاريخ واستمرار للثقافة واتصال بالتراث وارتباط بالدين.

قائمة المراجع :

1 - Ziya Kazici, **Osmali Vakif Medeniyeti**, Bilge Yayincilik Istanbul, Turkye, B1.
2 - Arsebuk Esat, **Medeni Huku C.1 Baslangic Ve Sahisin Hukuku**, Ankara, 1938.
3 - Kimse Yok Me,Heber Bulteni, **Kimse Yok Mede Ramazan Heyecani**, Sayi 29,2013 .

4 - مكتبة السليمانية، مجمزعة أسعد أفندي، رقم: 1/3752.
5 - وقفيات رستم باشا وابنته عائشة سلطانة محفوظة كلها في أرشيف المديرية العامة للأوقاف.
6 - وقفية الإغاثة الإنسانية، **تاريخ النجاح 1995-2011م**، إيهاها كتاب، إسطنبول، تركيا.
7 - وقفية الإغاثة الإنسانية، **الخير في كل زمان ومكان**، إيهاها كتاب، إسطنبول، تركيا، دون سنة، دون طبعة.
8 - وقفية الإغاثة الإنسانية، **ما في مرمرة (أسطول الحرية لغزة)**، تر:خليل إبراهيم قشار، إيهاها كتاب، إسطنبول، ط1، 2012م.
9 - علي كرامانلي، "نظرة جديدة إلى الوقف والتربية (حركة المثقف والعالم التركي فتح الله كولن نموذجا)"، **مجلة الأوقاف**، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، العدد 22.
10 - سعيد النورسي، **السيرة الذاتية**، سوسزلر، القاهرة، مصر.

[17] سعيد النورسي، **الملاحق**، سوسزلر، القاهرة، مصر، ص387 .